هوامش

عندما يُصنّف معلمٌ ما كتراث عالمي، غالباً ما تعمل الجهات المعنية في البلد المقصود بذلك التصنيف على الاهتمام بالمعلم وجذب الأنظار إليه. لكنّ الحال ليس كذلك بالنسبة إلى أهوار العراق

لقطة من الأهوار (مرتضى السوداني/ الأناضول)

أهوار العراق
أعوام من إهمال تراث عالمي

بغداد ـ **محمد الباسم**

باختصار

اشترطت منظمة يونسكو ترميم الأهوار وإزالة التجاوزات، وشدّدت على ضرورة تسهيل عودة سكانها الأصليين، بالإضافة إلى تطوير الجانب السياحي

■■■

لو أنّ الأهوار وُجدت في بلدٍ آخر، لكانت معلماً سياحياً يزوره كلّ سكان العالم، لما فيها من نقاوة طبيعية في الأرض والمياه والأسماك وحتى الناس المسالمين

قبل نحو خمسة أعوام، أُدرجت الأهوار العراقية الواقعة في جنوب البلاد على لائحة التراث العالمي، عندما صوتّت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) بالإجماع على ذلك في 17 يوليو/ تموز من عام 2016، كمحمية طبيعية دولية تُضاف إلى المدن الأثرية القديمة الموجودة. لكنّها حتى اليوم، ما زالت خالية من أيّ تطور على الصعيد الخدمي والعمراني، كذلك فإنّ ما يصدر عن الحكومات العراقية وتصريحات أعضاء مجلس النواب بشأن الاهتمام بالأهوار، لا يبدو واضحاً على أرض الواقع.

والأهوار هي كناية عن مسطحات مائية واسعة تمتد على ثلاث محافظات، هي ميسان وذي قار والبصرة، وتتخطى مساحتها 40 ألف كيلومتر مربّع، وهي غنية بالموارد الطبيعية وتُعَدّ ظاهرة مائية يتفرّد فيها العراق. وتستمدّ الأهوار مياهها من نهرَي دجلة والفرات ومن المياه الجوفية ومياه الأمطار، مع العلم أنّ عشرات آلاف العراقيين يقيمون حولها، في مناطق أبرزها الدماج وحمّار والجبايش وغيرها.

وكانت منظمة يونسكو قد اشترطت على المعنيين ترميم مناطق الأهوار وإزالة التجاوزات، وشدّدت على ضرورة تسهيل عودة سكانها الأصليين، بالإضافة إلى تطوير الجانب السياحي. لكنّ أيّاً من هذه الشروط لم يتحقق في خلال الفترة الماضية، بل زاد عدد التجاوزات المائية وتنامت الصراعات العشائرية على حصص المياه في ظل غياب للدور الحكومي، وهو ما عرّض تلك المناطق في أكثر من مرّة لخطر الإزالة من على لائحة التراث العالمي.

وفي تقرير صادر أخيراً عن مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، بمناسبة الذكرى الخمسين لاتفاقية «رامسار» للحفاظ والاستخدام المستدام للمناطق الرطبة، كان هناك تأكيد على أهمية التزام العراق بالاتفاقية من خلال إنشاء شبكة من المناطق المحمية. وأشار البيان إلى أنّ «الأهوار، ومن خلال الدعم المناسب، يمكن أن تصبح مصدراً لتطوير قطاع ثالث يعتمد على إدارة الموقع والسياحة والضيافة، والتي ستساهم على المدى الطويل في حماية واستدامة النظم البيئية والمناظر الطبيعية». وفي أعقاب ذلك، أعلنت الخارجية الأميركية أنّها «قدمت أربعة ملايين دولار أميركي لدعم الجهود الدولية والمحلية لاستعادة الأهوار العراقية، وهي أحد مواقع التراث العالمي لليونسكو، ما يوفّر نظاماً بيولوجياً فريداً لجاموس الماء ومئات الأنواع من الأسماك والطيور».

يقول الناشط البيئي من مدينة الناصرية حيدر المشهداني لـ«العربي الجديد» إنّ «الأموال التي تعلن عنها المنظمات الدولية ووزارات الخارجية من عموم دول العالم من أجل دعم ملف الأهوار العراقية، لم تظهر آثارها على أرض الواقع. فالأهوار ما زالت على حالها، بل إنّها تعرّضت في خلال الفترات الماضية إلى جفاف في بعض المناطق، بالإضافة إلى استمرار هجرة سكان المسطحات المائية إلى مناطق أخرى بسبب تراجع مناسيب المياه، ناهيك عن الصراعات بين العشائر في الجنوب على المياه». ويشدد المشهداني على أنّ «الأهوار لم تشهد أيّ تقدم، ولا أيّ اهتمام من قبل المسؤولين، لأسباب تتعلق بنقص السيولة المالية، بحسب التصريحات الحكومية، مع العلم أنّ أموال إعادة تأهيل الأهوار تأتي بغالبيتها من جهات خارجية».

في سياق متصل، يشير عضو مجلس النواب العراقي علي البديري لـ«العربي الجديد» إلى أنّه «لو وُجدت الأهوار العراقية في بلدٍ آخر، لكانت معلماً سياحياً يزوره كلّ سكان العالم، لما فيها من نقاوة طبيعية في الأرض والمياه والأسماك وحتى الناس المسالمين. لكنّ الحكومات العراقية المتعاقبة منذ عام 2016، ظلّت منشغلة بالحرب على الإرهاب». ويوضح البديري أنّ «أحداً لا يعرف أين هي الأموال التي خُصصت لإدامة الأهوار، وهذا الأمر من مسؤوليات الحكومة. وثمّة منظمات كان من المفترض أن تتابع سير العمل وتطوراته في مناطق جنوب البلاد، لكنّ هذا أمر لم يحصل، كما أنّ وسائل الإعلام لم تتابع هذا الملف إلى أن انتهى الحديث عنه. كذلك، فإنّ سكان الأهوار تعرّضوا إلى خسارات كبيرة، بسبب تراجع مناسيب المياه».

من جهته، يوضح وزير الثقافة والسياحة والآثار العراقي السابق عبد الأمير الحمداني لـ«العربي الجديد» أنّ «ملف الأهوار يقع حالياً من ضمن صلاحية وزارة الصحة والبيئة، لأنّ الأهوار ليست مياهاً فقط بل تحتوي على نباتات وطيور. كذلك فإنّ الأمم المتحدة ومنظمة يونسكو ومركز التراث العالمي ومركز صون البيئة، يعدّون الأهوار ملفاً ثقافياً طبيعياً. ولعلّ أكثر الأسباب التي تؤخّر تطوّر الأهوار كمرفق سياحي، هو مشكلة عدم الاستقرار المائي التي تحتاج إلى اتفاق ما بين العراق وتركيا». يضيف الحمداني أنّ «الحكومة العراقية كانت قد خصصت مبلغ 15 مليار دينار عراقي (نحو 10 ملايين و300 ألف دولار أميركي) من أجل بناء متحف هناك، إلى جانب استكمال العمل في القرية السياحية، لكنّ الظروف الأمنية وانتشار وباء كورونا حالا دون الاستمرار بذلك».

ويتابع الحمداني أنّ «الوضع الحالي في الأهوار يتطلب ضمان استقرار المياه بالإضافة إلى إنشاء بنى تحتية والترويج للسياحة. كذلك ثمّة حاجة إلى زيادة الوعي البيئي ووقف الصيد الجائر وتفعيل دور الشرطة البيئية. ويتوجب على الحكومات المحلية في ذي قار والبصرة وميسان التأسيس لشوارع جديدة ومناسبة وإنشاء البنى التحتية الأساسية للسياحة من أجل دفع المواطنين إلى الاستثمار في مناطق الأهوار». تجدر الإشارة إلى أنّ أهوار العراق عُرفت سابقاً بجمال طبيعتها وغزارة مياهها وتنوّعها البيئي، لكن هذه المسطحات المائية العملاقة أخذت بالانحسار وبدأت هجرة السكان الجماعية منها إلى المدن في ستينيات القرن الماضي، لكنّ وتيرتها ارتفعت إبان الحرب العراقية مع إيران (1980-1988) لوقوعها على حدود جبهات المعارك بين البلدَين. وتشكّل الأهوار العراقية حواجز جغرافية على تخوم مدن جنوبية كالناصرية والعمارة والبصرة، ووفقاً لبعض التقديرات فإنّ مساحة المناطق التي ما زالت مغمورة بالماء تقلّ عن 30 في المائة من المساحة الأساسية على أحسن تقدير. في سياق منفصل، وفي خلال السنوات الأخيرة، استُخدمت منطقة الأهوار المترامية الأطراف والنائية والواقعة على الحدود مع إيران في تهريب المخدرات والأسلحة وتسلم البضائع المسروقة واحتجاز رهائن لطلب الفدى.

وأخيراً

أنتيغون، أمثولة المواجهة والتمرّد

نجوى بركات

(إلى رشا الأمير)

قد تكون «أنتيغون» من أشهر المسرحيات التراجيدية القديمة التي ألّفها سوفوكليس (496 – 406 ق. م) وتمّ اقتباسها وإعادة كتابتها في أكثر من حقبة، على يد كتّاب كبار، من بينهم جان راسين، وهولدرلين، وجان أنُويْ الذي اعتبرها تراجيديا المواجهة بامتياز، إذ ترفض البطلة أن ترضخ لقوانين السلطة الحاكمة، وهي بذلك تمثّل بروز الفرد المتمرّد حين تواجَه إرادتُه بقوانين السلطة الجائرة.

«لم يعد العالمُ يُحصي روائعه، إلا أن الإنسان هو رائعة الروائع»، يقول الكورس، في حين تبدأ المسرحية بحوارٍ بين أنتيغون وأختها إيسمين، حيث تطلب الأولى من الثانية مساعدتها على دفن أخيهما بولينيس، على الرغم من أوامر ملك طيبة، كريون: «أريده أن يُترك هنا، جثّة من دون كفن، قوتا ولعبة للطيور أو الكلاب». يُبلغ أحدُ الحرّاس كريون أن الجثة قد دُفنت، فتقع مواجهةٌ عنيفةٌ مع أنتيغون التي تصرخ في وجهه: «ليس الموت هو ما لا يُحتمل بنظري، بل أن أدع جسدَ شقيقي يهترئ من دون قبر، أجل، هذا هو ما لا يُحتمل بالنسبة لي. إنما الآن، فضميري مرتاح. أنت تحسب أني مجنونة، إنما المجنون الحقيقي هو ذاك الذي ينعتني بالجنون». هكذا يُرسل دفنُها أخاها بأنتيغون إلى ملاقاة حتفها («الأخ غير قابل للاستبدال، على عكس الزوج أو الابن»)، وبكريون إلى حضن الكراهية والانتقام...

ما إن وردني خبرُ مقتل لُقمان سليم صباح 4 فبراير، وهو الخبر الذي أشعرنا، نحن اللبنانيين، بأننا ضُربنا على قوائمنا من الخلف لتنكسر فنقع، كما تُضرب الدَّواب لكي تُركّع، لأن ثمّة من أراد أن يُعلِمَنا عبر قتل الرجل الجميل، الألمعيّ، المثقّف الحرّ والناشط السياسي، الذي حمل بين يديه من المشاريع ما لا تستطيع دولٌ ومؤسساتٌ كبرى إنجازه، أننا لسنا أحرارا، بل عبيد لقراراته وسياساته التي، على الرغم من وضوحها وسلاحها وترهيبها، ما زالت لا تُخيف البعض أو تسكته. وهؤلاء «البعض» حين يكونون من البيئة الحاضنة، ولا يرضخون للتهديد بكاتم الصوت، ولا يخافون المضيّ في قول الحقيقة، ويستمرّون يضربون بأجنحتهم ليرتقوا ويسموا، ويتمرّدون على سلطةٍ غاشمة، فاسدةٍ، قاتلة، دفاعا عن العدالة وعن لبنان نحبّه ونسعى إليه، هؤلاء لا بدّ من سفك دمهم، وجعلهم أمثولةً لمن لم يعتبر بعد. خمسُ رصاصاتٍ في الرأس المشعّ بذكائه الجميل بأفكاره، وواحدةٌ في الظهر الذي لم ينحن ولم يطأطئ. خمسُ رصاصاتٍ في الرأس المعاند الشجاع المواجه متحدّي الخوف والترهيب، قائل الحقّ والمدافع عنه، ورصاصة غادرة في الظهر المنتصب، الصامد، المستقيم، المتقدّم دوما إلى الأمام. لقد عمل لقمان سليم طويلا على ذاكرة الحرب، وعلى ملفّ المفقودين، وملف المساجين اللبنانيين في سورية. عبر جمعية «أمم» ودار نشر «الجديد»، أراد أن يوثّق ويجمع ويؤرشف لكي لا ننسى. لكي تجد الأجيالُ القادمة من بعدنا مَن يقول لها الحقيقة بعد أن يتمّ تزوير التاريخ كما يجري دائما، وتناسي الضحايا

> نقول مدى خسارتنا، فجيعتنا، خوفنا على القلّة ممّن ما زالوا يرفعون الصوت، وذعرنا على ما بقي من وطننا

والمقهورين لصالح من يقتل ويربح. ما أنجزه (وشقيقته وزوجته) في هذا غيرُ قابلٍ للتقييم، لأنه يعدو كل التوقّعات، كل الطموحات، كلّ الآمال، ولا ريب في أن مشروعه سيبقى يشغله حتى من بعد مماته.

كُتب الكثير عن لقمان سليم وقيل عنه الكثير. لكنّ الكلامَ لا يَشْبَعُ منه. الكلام كلّه لا يُجزيه حقّه، ولا يكفي لرثائه. ثمّة من شمتوا وتشفّوا بالطبع، لكنّ الأكثرية بَكَتْه. كنا نتهاتف ونسرّ لبعضنا بعضا كم نحن حزانى ومصدومون ومتألّمون. نقول مدى خسارتنا، فجيعتنا، خوفنا على القلّة ممّن ما زالوا يرفعون الصوت، وذعرنا على ما بقي من وطننا. ثم نسمّي قاتلَه بالاسم، وقد سمّى نفسَه بنفسه، نسلسلُ إجرامه، تحريضاته، تهديداته، استباحته الدماء، غياب الضمائر، سفاهة السفهاء ممن لا يفتحون أفواههم/ الأبواق إلا لكي يسمّوا قتلاهم المقبلين.

بعد غد الخميس، سنأتي لنشارك «أنتيغون» مراسم دفن شقيقها في دارتهم في الضاحية. سنكون كثرا ولن نخاف، إذ سنستمدّ شجاعتنا من لقمان، وممّن سبقوه على درب الحرية الطويل. وسوف نشهدُ جميعا أننا رأيناه وقد نبتت له أجنحةٌ عملاقة رفعتْه عاليًا ليصيرَ نجمًا في السماء.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**